

التفصير المطول - سورة التوبة 009 - الدرس(70-23) : - تفسير الآية 26 ، مع السكينة  
أنت في عطاء ولو فقدت كل شيء .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 08-10-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله بيته الطيبين الطاهرين،  
وعلى صحابه الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة أوليته، وارض عننا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجننا  
من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات.

### السكينة عطاء إلهي كبير يتمتع به المؤمن :

أيها الإخوة الكرام، مع الدرس الثالث والعشرين من دروس سورة التوبة، ومع الآية السادسة  
والعشرين وهي قوله تعالى:

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُدًا لَمْ تَرُوهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26)

سورة التوبة

أيها الإخوة، لا بد من وقفة متأنية عند كلمة سكينة، هذا عطاء إلهي كبير، هذه ميزة يتمتع بها  
المؤمن، إن الله يعطي الصحة، والذكاء، والمال، والجمال، للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدر  
لأعضائه المؤمنين، السكينة نعرف آثارها لكن لا نعرف حقيقتها، حينما يتجلى رب العزة على مؤمن  
بالسكينة، أو حينما ينزل الله بالتعبير القرآني سكينته على رسوله، أو على المؤمنين، أو على مؤمن، هذا  
عطاء ما بعده عطاء، هذا عطاء أقل ما يوصف به أنك تسعد به ولو لا تملك شيئاً، وتشقى بفقده ولو  
ملكت كل شيء، هذه السكينة أنزلها الله على قلب نبيه وهو في الغار، وهو مطارد، ومئة ناقة لمن يأتي  
به حياً أو ميتاً.

يا رسول الله لقد رأينا، فقال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما

أخرج البخاري ومسلم والترمذني عن أنس بن مالك

ما هذه الثقة؟ ما هذه الطمأنينة؟ النبي -عليه الصلاة والسلام- في الهجرة تبعهم سراقة طمعاً  
بمئة ناقة لمن يأتي بالنبي حياً أو ميتاً، فقال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: يا سراقة كيف بك إذا  
لبست سوار كسرى؟

إنسان مطارد، مهدور دمه، مئة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً، يقول لسرقة: كيف بك يا سرقة  
إذا لبست سوار كسرى؟

كأن النبي يقول: أنا سأصل سالماً إلى المدينة، وسأؤسس دولة، وسأبني جيشاً، وسأحارب أكبر دولتين في العالم، وسأنتصر عليهما، ولك يا سرقة سوار كسرى، ما هذه الثقة؟ هكذا ينبغي أن يكون المؤمن، أن يثق بالله، لأن زوال الكون أهون على الله من ألا يتحقق وعده للمؤمنين:

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلَفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَصَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حُوْفِهِمْ أَمْنًا ۝ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۝ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)

سورة التور

من أخل بما كلفه الله به من عبادة فالله جل جلاله في حل من وعده :

لكن: **﴿يَعْبُدُونَنِي﴾** فإذا أخل الطرف الآخر بما كلفه الله به من عبادة فالله -جل جلاله- في حل من وعده الثالث، ولا تنسوا أن زوال الكون أهون على الله من ألا يتحقق وعده للمؤمنين، لذلك حينما تتنزل السكينة على قلب مؤمن يسعد ولو كان في السجن، سيدنا يوسف أين كان؟ بالسجن، نبي كريم دخل السجن، لكن مع السكينة كأنه في أتم سعادته، سيدنا رسول الله أنزل الله على قلبه السكينة وكان في الغار، أنزل عليه السكينة وكان في طريق الهجرة فلم يتاثر.

الأشياء التي وصف بها الأنبياء والرسل لكل مؤمن منها نصيب بقدر إيمانه وإخلاصه :

وبالمناسبة وهذا أخطر شيء أقوله في هذا اللقاء الطيب: الأشياء التي وصف بها الأنبياء والرسل لكل مؤمن منها نصيب بقدر إيمانه وإخلاصه، أي الله -عز وجل- حينما يقول للنبي الكريم:

**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)**

سورة الشرح

هذه للنبي الكريم، وكل مؤمن صدق مع الله، يرفع الله له ذكره، لذلك أنا أحياناً أجد شاباً مستقيماً يخاف الله، يضبط نفسه، يتبع منهج ربه، أقسم لكم بالله أقول له: لا تخاف، أنتا لك بمستقبل زاهر، كيف؟ لا أعلم، لكن زوال الكون أهون على الله من ألا يتحقق وعده للمؤمنين، الله -عز وجل- وعد المؤمن بحياة طيبة:

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكْرٍ أَوْ أُنْتَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهَ حَيَاةً طَيِّبَةً ۝ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)

سورة النحل

بأي وضع، بأي بلد، بأي ظرف، بأي بيئة، هذا وعد فوق المكان والزمان، فوق كل المعطيات، فوق كل الأشياء التي توحى بالضعف.

### النكات المتتالية أورثت ثقافة اليأس والإحباط لكن الله أعطانا جرعات منعشة :

لذلك مرة ثالثة: زوال الكون أهون على الله من لا يحقق وعوده للمؤمنين، أحياناً تشيع في حياة المسلمين ثقافة اليأس، أو ثقافة الإحباط، أو ثقافة الطريق المسدود، بسبب النكات التي تتالت على الأمة الإسلامية في تاريخها الحديث، هذه النكات المتتالية أورثت ثقافة اليأس والإحباط والطريق المسدود، لكن الله -جل جلاله- أنا أقول بالتعبير التالي: أعطانا جرعات منعشة، يعني رابع جيش بالعالم، جيش العدو رابع جيش في العالم، أول جيش في الشرق الأوسط، أول جيش بتوع الأسلحة، ولم يستطع لاثنين وعشرين يوماً أن يحقق أي هدفٍ من أهدافه حينما اشتباك مع فئة قليلة مؤمنة لا تملك شيئاً، أليست هذه جرعة منعشة؟ نظام عالمي عملاق ينهار، وتعلن عشرات مئات البنوك إفلاسها، لأنها أنظمة قائمة على الربا، أليست هذه جرعة منعشة؟ فالله -عز وجل- رحمة بنا وأشفع علينا من أن نقع في اليأس، والطريق المسدود والإحباط، أعطانا في التاريخ الحديث جرعات منعشة، ثم أنزل الله سكينته، فقد ورد في الأثر القدسية:

إن بيتي في الأرض المساجد . هذا بيت الله . وإن زوارها هم عمارها، فطوبى لعبدٍ تظهر في بيته ثم زارني، وحقَّ على المزور أن يكرم الزائر.

أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري

بربكم أنتم في بيتٍ من بيوت الله، ما الإكرام الذي تتوقعونه من رب العزة؟ (إن بيتي في الأرض المساجد، وإن زوارها هم عمارها، فطوبى لعبدٍ تظهر في بيته ثم زارني، وحقَّ على المزور أن يكرم الزائر).

### من ذكر الله أدى واجب العبودية ومن ذكره الله منحه الحكمة والأمن :

تقول لي: لا يوجد بالمسجد مقعد مريح، الجلوس على الأرض، لا يوجد عصير، ولا شاي، ولا أي ضيافة، فأي إكرام هذا؟ انتظر، ورد في قوله تعالى:

أَتُلُّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۖ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)

سورة العنكبوت

قال علماء التفسير: ذكر الله أكبر ما في الصلاة، لأن الله -عز وجل- يقول:  
إِنَّمَا أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)

سورة طه

هذا تفسير، لكن ابن عباس -رضي الله عنه- له رأي آخر، قال في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ  
الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ أيها المسلم أنت في الصلاة تذكر الله، لكن ذكر الله لك وأنت في الصلاة تذكره أكبر من  
ذكرك له، لأنك إن ذكرته أديت واجب العبودية له، لكنه إذا ذكرك وأنت في الصلاة، وأنت في المسجد إذا  
ذكرك منحك نعمة لا يتمتع بها في الأرض إلا المؤمن، منحك نعمة الأمان، قال تعالى:

كَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًاٰ فَأَئِي الْقَرِيقَيْنِ  
أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلِبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ  
مُهْتَدُونَ (82)

سورة الأنعام

المعنى نفسه، جاء الآية أخرى:

قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51)

سورة التوبة

لنا لها معنى، علينا لها معنى، لنا خير ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ بل إن النبي - عليه الصلاة والسلام - في مرض وفاته أعطي دواء ذات الجنب، فغضب وقال: إن هذا المرض ما كان الله ليصيبني به.

الشاب المستقيم لن يضيعه الله أبداً و سيكرمه بالدنيا قبل الآخرة :

وأنا أقول لكم تطبيقاً لهذه الآيات الشاب المستقيم يجب أن يعتقد يقيناً أن الله لن يضيعه، وأن الله سيكرمه بالدنيا قبل الآخرة:

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوْنَ (18)

سورة السجدة

أَمْ حِسْبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ تَجْعَاهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ  
وَمَمَاتُهُمْ هَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)

سورة الجاثية

أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعَنَاهُ مَتَّاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ  
الْمُحْضَرِينَ (61)

سورة القصص

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (154)

سورة الصافات

فأنت أيها الشاب حينما توجه إلى الله، حينما تصطلح معه، حينما تتوسل إليه، حينما تعاوه على الطاعة، حينما تقوم في خدمة خلقه، إن الله -عز وجل- لن يضيعك، وليس أمامك إلا الخير، هذه الآيات لنا جميعاً **﴿فَلَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾**.

### الأمن و السلامة :

لذلك هذا الكلام في قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً﴾** هذه السكينة تعني الشعور بالقرب من الله، الحياة الطيبة، الثقة بالله، عدم توقعسوء، لأنهم قالوا: توقع المصيبة مصيبة أكبر منها، أنت من خوف الفقر في فقر، ومن خوف المرض في مرض، وتتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها، نحن عندنا حالة اسمها السلام، وعندنا حالة اسمها الأمان، الأمان أبلغ من السلام، لأن السلامة: انطلقت بمركباتك من دمشق إلى حمص في الساعة الخامسة فجراً والعجلة الاحتياط ليست صالحة، تقود المركبة مدة ساعتين وأنت قلق جداً، لأنه إن تعطلت إحدى العجلتين، أو تعطلت عجلة واحدة لن تستطيع متابعة السير، وصلت إلى حمص ولم يقع شيء، تتحقق السلامة ولم يتحقق الأمان، الأمان أبلغ من السلامة، لأنك إن توقعت المصيبة فأنت في مصيبة، إن توقعت الفقر فأنت في فقر، إن توقعت المرض فأنت في مرض، هناك أمراض تصيب القلب بسبب توقع إصابته بمرض، أحياناً الخوف من مرض القلب، هذا الخوف يصيب صاحبه بمرض القلب، الناس يعيشون قلقاً كبيراً، نعمة الأمان من حق المؤمن وحده، والشاهد واضح جداً: **﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَغْلَمُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾** **﴿أَقِمُ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَهَبُّ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾**

### لابد من أن يجتمع في قلب المؤمن تعظيم الله ومحبة له وخوف منه :

إذاً: إنه إن ذكرك فضلاً عن نعمة الأمان يمنحك نعمة الرضا، أنت راضٍ، راضٍ عن الله.

أن يا رب أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك؟ قال: أحب عبادي إلى تقي القلب ، نقى اليدين ، لا يمشي إلى أحد بسوء ، أحبني ، وأحب من أحبني ، وحببني إلى خلقي ، قال: يا رب إنك تعلم أني أحبك ، وأحب من يحبك ، فكيف أحبك إلى خلوك؟ قال: ذكرهم باللائي ، ونعمائي ، وبلائي

[أخرجه البيهقي في الشعب وابن عساكر عن ابن عباس وفي سنده انقطاع]

دققوا أيها الدعاة، فكيف أحببكم إلى خلوك؟ قال:

**ذكرهم باللائي ، ونعمائي ، وبلائي**

أي ذكرهم باللائي كي يعظموني، وذكرهم بنعمائي كي يحبونني، وذكرهم ببلائي كي يخافونني، معنى ذلك أنه لا بد من أن يجتمع في قلب المؤمن تعظيم الله، ومحبة له، وخوف منه، التعظيم من خلال

آلائه العظيمة، والمحبة من خلال نعمه الوفيرة، والخوف من خلال البلاء الذي لا يُحتمل، يجب أن تعظمها، وأن تحبه، وأن تخافه، لذلك:

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشَمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِهِ<sup>(25)</sup> وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِهِ<sup>(26)</sup> يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَّةَ<sup>(27)</sup> مَا أَغْنَى عَنِي مَالِيَّةَ<sup>(28)</sup> هَلَكَ عَنِي سُلْطَانِيَّةَ<sup>(29)</sup> خُدُودُهُ فَغُلُوْهُ<sup>(30)</sup> ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُوْهُ<sup>(31)</sup> ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ دُرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ<sup>(32)</sup> إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
الْعَظِيمِ<sup>(33)</sup>

سورة الحاقة

تحت العظيم أربعة خطوط، هو آمن بالله لكن ما آمن به عظيماً، كشأن معظم الناس آمنوا بالله خالقاً، لكن ما آمنوا به عظيماً، لو أن الإنسان آمن بالله العظيم لا يمكن أن يعصيه، لا تنظر إلى صغر الذنب، ولكن انظر على من اقترأت، والدليل:

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَرَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا<sup>(12)</sup>

سورة الطلاق

من أيقن أن علم الله يطوله و قدرته كذلك لا يمكن أن يعصيه :

أسماؤه الحسنة كثيرة، تسعه وتسعون اسماء، اختار الله من أسمائه اسمين؛ العلم والقدرة، أي أنت حينما تومن أن علم الله يطولك، وأن قدرته تطولك، لا يمكن أن تعصيه، ليس مع خالق السماوات والأرض، بل مع إنسان منبني جلدتك، تركب مركبة والإشارة حمراء، والشرطي واقف، فإذا تجاوزت الإشارة الحمراء علم الشرطي يصل إلى واضح قانون السير، وقدرة واضح قانون السير قد تنزل بالمخالف أشد العقاب، فأنت حينما تومن مع إنسان منبني جلدتك أن علمه يطولك، وأن قدرته تطولك، لا يمكن أن تعصيه أبداً، مثلاً إنسان تجاوز الإشارة الحمراء وهناك شرطي بمكان غير واضح، غير ظاهر، فنبه هذا السائق، قال له: ألا ترى أن الإشارة حمراء؟ قال له: والله رأيتها ولكن ما رأيتكم، رأيتها لكنني لم أرك، فمعنى ذلك النظام الوضعي لا يطبق إلا بوجود من يتبع هذا النظام.

كلم تصومون رمضان بأيام الصيف الحارة، تدخل إلى بيتك لا تستطيع أن تضع قطرة ماء في فمك، والحرارة قد تكون خمساً وأربعين درجة وستاً وأربعين، وتکاد لا تستطيع متابعة الصيام ومع ذلك تصوم.

الحياة لا تنضبط إلا بالإيمان بالله :

لذلك أي نظام وضعني، لم لا ينجح؟ لأنه لا يوجد مراقبة فعالة، مثلاً هناك إنسان يعجن العجين، ودخل إلى الحمام الساعة الثانية ليلاً ولم يغسل يديه، وتابع عجن العجين، و كان معه التهاب

كبد وبائي، يصيب من ثلاثة إلى خمسة إنسان يأكل من هذا الخبز، الحياة لا تتضبط إلا بالإيمان بالله.

لذلك عندما يكون هناك نظام إلهي، الله مع كل إنسان، سيدنا ابن عمر امتحن راعياً، قال له: بعني هذه الشاة وخذ ثمنها، قال له: ليست لي، قال: قل لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب، قال: والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها، ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني، فإني عنده صادق أمين، ولكن أين الله؟ هذا البدوي، الراعي، الأعرابي، لا يوجد عنده أشرطة كاسيت، ولا سيديات، ولا مكتبة أربعة جدران، لكنه عرف الله، قال له: ولكن أين الله؟ وفي اللحظة التي تقول فيها أين الله؟ قطعت أربعة أحشاس الطريق إلى الله، هذا الدين كله، الدين حينما تبعد عن كل معصية، فأنت ورب الكعبة مؤمن.

لذلك يقول أحد العلماء أظنه التستري، ترك دائق من حرام خيرٌ من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام، وسيدنا ابن عباس كان معتكفاً في مسجد النبي -عليه الصلاة والسلام- رأى رجلاً كثيراً، قال له: ما لي أراك كثيراً؟ قال له: ديون لزمتي ما أطيق سدادها، قال: لمن؟ قال: لفلان، قال ابن عباس لهذا الكثيير أتحب أن أكلمه لك؟ قال: إذا شئت، فقام ابن عباس من معتكفه، يبدو أن إنساناً قال له: يا ابن عباس أنسنتك أنك معتكف؟ قال: لا والله ما نسيت، ولكنني سمعت صاحب هذا القبر - وأشار إلى قبر النبي -عليه الصلاة والسلام - والعهد به قريب ودمعت عيناه، قال صاحب هذا القبر: والله لأن أمشي مع أخي في حاجته خيرٌ لي من صيام شهرٍ واعتكافه في مسجدي هذا.

نظرت إلى الدين، ترك دائق من حرام خيرٌ من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام، ولأن أمشي مع أخي في حاجته خيرٌ لي من صيام شهرٍ واعتكافه في مسجدي هذا، لأنه النبي -عليه الصلاة والسلام - قال:

### بني الإسلام على خمسٍ

أخرجه البخاري ومسلم والترمذني والنسائي عن عبد الله بن عمر

الإسلام بناء عظيم :

الخمس ليست هي الإسلام، هي أركان الإسلام، ولكن الإسلام بناء عظيم، الإسلام -والله لا يبالغ- خمسة ألف بندًا، هذه البنود تبدأ من أخص خصوصيات الإنسان، تبدأ من فراش الزوجية وتنتهي بالعلاقات الدولية، لكل حركة حكم شرعي، هناك فرض، وهناك واجب، وهناك سنة، وهناك مستحب، وهناك مباح، وهناك مكره ترتبيهاً، ومكره تحريمهاً، وهناك حرام، بكل حركة، وسكنة، بالأخذ والعطاء، والعمل، والغضب، والرضا، هناك أحكام شرعية، لذلك إذا قلت منهج الله التقصيلي قد يصل إلى خمسة ألف بندًا، يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية، فأنت إذا كنت حريصاً على

سلامتك، وحريصاً على سعادتك، ينبغي أن تبحث عن منهج ربك، وأن تطبقه عندئذٍ تحقق السلامة في الدنيا والآخرة.

### الأشياء العظيمة التي خص الله بها رسوله خص بها المؤمنين :

إخواننا الكرام، في قوله تعالى: ﴿لَمْ أُنْزَلِ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأشياء العظيمة التي خص الله -جل جلاله- بها رسوله جزء منها خص بها المؤمنين، والآية واضحة، ﴿لَمْ أُنْزَلِ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ وأي مؤمن بأي مكان بأي زمان، أي هؤلاء الصحابة، ولكن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة، فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنما إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنني قد رأيت إخواننا، فقالوا: يا رسول الله، أنسنا يا إخوانك؟ قال بل أنت أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، وأنا فرطهم على الحوض، فقالوا: يا رسول الله، كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك؟ قال: أرأيت لو كان لرجل خيل غر محطة في خيل دهم بهم لا يعرف خيله؟ قالوا: بل يا رسول الله، قال: فإنهم يأتون يوم القيمة غرّ محاجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، إلا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أنا ديهم: ألا هلم، ألا هلم، ألا هلم. فيقال: إنهم قد بدلوها بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً.

صحيح مسلم عن أبي هريرة

إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّاماً، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقِبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَالَمِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ حَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ". قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ حَمْسِينَ مِنْ أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَنَ أَجْرُ حَمْسِينَ مِنْكُمْ.

رواه أبو داود والترمذى وابن حبان

طبيعة العصر الحديث، المعصية موجودة بأي مكان، موجودة على الشاشة، موجودة في الانترنت، موجودة في الصحف، موجودة في المجلات، موجودة في الطريق، موجودة في الجامعات، في أي مكان هناك معاصر، وهذا الذي يقبض على دينه كأنما يقبض على الجمر لأنه من علامات قيام الساعة موت كعاقص الغنم، لا يدري القاتل لم يقتل ولا المقتول فيم قتل؟

حدثي أخ من بلد مجاور قال لي: إنني أودع زوجتي وأولادي كل يوم، لأن احتمال الموت خمسون بالمئة، أيضاً هذا يعني أن نشكر الله -عز وجل- من أعماق قلوبنا على نعمة الأمن التي نتمتع بها. يعني هناك حالات صعبة جداً.

### من نعم الله العظيمة على الإنسان أنه يعيش بين مؤمنين :

لذلك: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً﴾ الحالة النفسية المريحة، الثقة بالله، الطمأنينة، الرضا، الإنسان حينما يصلى ذكر الله له أكبر من ذكر العبد لربه، إن ذكرك الله في الصلاة منحك نعمة الأمان، منحك نعمة الرضا، منحك الحكمة، أنت بالحكمة تسعد بزوجة من الدرجة العاشرة، ومن دون حكمة تشغى بزوجة من الدرجة الأولى، أنت بالحكمة تجعل العدو صديقاً، وبالحُمق تجعل الصديق عدواً، أنت بالحكمة تتدارب أمرك بدخل محدود، ومن دون حكمة تبدد المال الكثير، يعني الفرق بين المؤمن وغير المؤمن ليس بالدرجة إنما الفرق بال النوع.

للتقريب: أنت من أسبوع لم تأكل، وهناك لحم مشوي بأعلى مستوى، وهناك لحم بمكان آخر متفسخ له رائحة تصل لخمسين متراً، تكاد تخرج من جلدك من رائحة اللحم المتفسخ، وهناك لحم آخر مشوي تتوقد إليه، القطعتان لحم، لكن الأولى لحم متفسخ والثانية لحم شهي.

وهكذا الإنسان، هناك إنسان تشتهي أن تجلس معه، تشتهي أن يحدثك، تشتهي أن تجاوره، تشتهي أن تتسافر معه، وهناك إنسان لا تحتمل مزاحه، ولا تعليقاته، ولا عاداته، ولا تقاليده.

لذلك أيها الإخوة، من نعم الله العظمى أنك تعيش بين مؤمنين، فإذا كنت أنت مع إخوة مؤمنين، طيبين، طاهرين، صادقين، أوفياء، يتعاونون معك، هذه نعمة لا تعدلها نعمة.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ دعني أقول لك بصراحة: إن لم تقل أنا أسعد من في الأرض إلا أن يكون الآخر أتفى مني فعندك مشكلة، حتى إن بعض العلماء قال: إن ذكرت الله فلم تشعر بشيء، إن صليت الفريضة فلم تشعر بشيء، إن قرأت القرآن فلم تشعر بشيء، فاعلم أنه لا قلب لك، مستحيل أن تذكر الله ولا يذكري؟ أن تقبل عليه ولا يقبل عليك؟ أن تخطب وده ولا يخطب ودك؟ مستحيل!.

إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِيْ شِبَّرًا تَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ أَهْرَوْلِ

البزار عن سلمان الفارسي

هذا المعنى دقيق جداً ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرُوهَا﴾.

## عدم الوجود لا يدل على عدم الوجود :

عندنا قاعدة بالمنطق: عدم الوجود لا يدل على عدم الوجود، أي لو أيقظنا إنساناً من قبره من خمسين سنة، أريناه قرضاً، أنا عندي قرص فيه خمسة عشر ألف عنواناً، معنى عنوان، قد يكون كتاب مؤلفاً من أربعين جزءاً، ما قلت كتاباً، قلت عنواناً، القرطبي 29 جزءاً، فإذا كان على قرص 15000 عنواناً ضرب خمسة كحد أدنى، فالنصوص على القرص مضبوطة بالشكل، يمكن أن تبحث عن موضوع

بخمسة عشر ألف عنواناً أو بمئة ألف كتاباً ببعض ثوان، هذا الذي أيقظته من قبره قبل خمسين عاماً يصدقك؟ يقول لك: أنت مجنون، لأن عقله مرتبط بواقع لم يكن فيه كمبيوتر.

لما كان الخليفة يعطي أمراً بالمدينة، حتى تبلغ الأمر تحتاج إلى شهر، كان الفارس يركب على جواهه من المدينة إلى الشام، إلى بغداد، يحتاج إلى شهر، الآن بثانية، أنا أقول: العالم خمس قارات صار قارة وحده، صار بلداً، صار مدينة، صار قرية، صار بيتاً، صار غرفة، الآن العالم سطح مكتب، أي شيء يقع في العالم بعد ثوان تراه بعينك، أليس كذلك؟ فإذا أيقظت إنساناً من قبره قبل خمسين عاماً لا يصدق ذلك إطلاقاً.

لذلك عندنا عقل وعندنا نقل، أيهما أخطر؟ النقل، النقل وهي السماء، النقل من عند خالق السماوات والأرض، أما العقل فمرتبط بالواقع.

فلذلك: **﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرُوهَا﴾** والله سمعت ولا أدرى مبلغ هذا الخبر من الصحة، عندما كان الأعداء يقبضون على جندي من غرة، يقولون له: ماذا يرتدي الجنود عندكم؟ يقول لهم: ثياباً مبرقعة، يقولون له: أنت كاذب، يرتدون ثياباً بيضاء، الله موجود إذا كان هناك إخلاص ينصرك، شيء مدهش أنه لمدة اثنين وعشرين يوماً لم يتمكن أقوى جيش بالمنطقة أن يحقق أي هدف من أهدافه، أليس كذلك؟ يقولون له: كانوا يرتدون ثياباً بيضاء، فالقرآن قرآن.

فلذلك: **﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرُوهَا﴾** هذه القصص تواترت كثيراً، أنا لا أصدق أنها من لا شيء، أو أنها مختلفة، كان هناك معونة إلهية والله موجود: **﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾**.

### السكينة أكبر عطاء إلهي للإنسان :

إخواننا الكرام، مركز النقل في هذا الدرس السكينة، تسعد بها ولو فقدت كل شيء وتشقى بفقدانها ولو ملكت كل شيء، أنت بمكان حُجزت به حرتك مع السكينة أسعد إنسان، وبأجمل بيت في الأرض بلا سكينة أشقي إنسان، أنت مع المال القليل والسكينة أسعد إنسان، ومع الدخل الفلكي بلا سكينة أشقي إنسان، سعادتك بالسكينة، لأن السكينة أكبر عطاء إلهي لك في الدنيا، والسكينة ليس لها علاقة لا مكان، ولا بزمان، ولا ببيئة، ولا بظروف صعبة، وعد الله -عز وجل- فوق كل الظروف، وفوق كل المعطيات، فآية اليوم: **﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرُوهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾**.

والحمد لله رب العالمين.

